الاستاذ الذي عاد من روما فخلق فنا قائما على الحرية المطلقة:

فاتح المدرس كما رأيته وما زلت أراه

رضا حسحس*

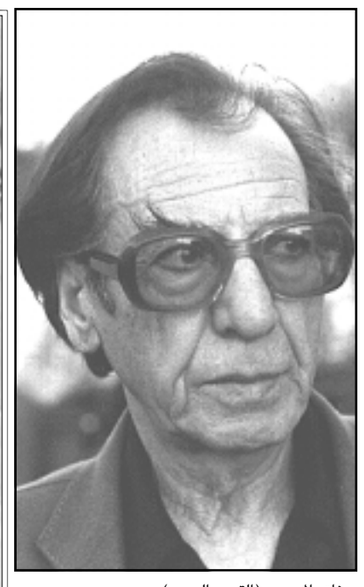

فاتح المدرس (القدس العربي)

عملان للفنان (القدس العربي)

■ لقد كان حدثا فنيا هاما عودة فاتح المدرس من روما الى الوطن. كنا يومها طلابا في كلية الفنون الجميلة قادمين من محافظات اخرى لم يكن للفن فيها حضور الا في الكتب والمجلات وفيما يتناقله الاصدقاء الهواة وخفية في منازلنا. وكانت لوحة «كفرجنة» عالقة في ذاكرتنا ضاجة باللون والضوء وعبق الارض في الشمال.

وفي احد الصباحات سمعنا بأن فاتح المدرس قد حضر الى كلية الفنون ليبدأ التدريس وبدأنا نشعر بحضور شخصية فنية هامة في وعينا وفي اليوم ذاته سمعنا كيف دخل احدى غرف التدريس الغارقة بالعتمة إلا من ضوء كهربائي مختنق مسلط على آنية نحاسية وقطع قماشية مطرزة وفاكهة قد ذبلت واختنقت طزاجة الوانها. وسمعنا يومئذ كيف اخترق فاتح هذه العتمة منذهلا وقال: «لمَ تغلقون النوافذ وتحجبون ضوء الشمس والهواء» وفتحها على مصاريعها فاختفت «الطبيعة الصامتة» خلف شاشة الضوء الساطع. وكانت تلك الصدمة الاولى التي زعزعت أركان تعاليم بائدة واحتفى الطلاب الشباب بحضور حقبة جديدة وعقلية في الفن طال انتظارها مشبعة بروح حرة تفهم الفن تحققا انسانيا وجماليا عاليا. وتطرح جانبا المفاهيم الرثة البالية وتفهم جوهر حياة لا خيالات شاحبة لها.

حاول فاتح المدرس بجهوده الخاصة ورحابة نظرته للفن ان يخلق وسطا فنيا قائما على الحرية المطلقة والمسؤولية الشديدة وسط اجواء يشيع فيها التحفظ والانغلاق ومعاداة تفتح الفرد والنظرة المضادة للتقدم فتحول محترفه الى منتدى مشبع بمبادئ الحرية وطقوس الخلق والايمان بالابداع الانساني وبالتجدد وبالشعر والموسيقى وتبادل الافكار. وقد استطاع بشخصه وفنه ان يبث روحا طليعية طليقة لم تكن معروفة من قبل ولم تعد قائمة من بعد. فالتفت حوله المواهب الجديدة الشابة ورأت فيه داعما كبيرا لها ولما تبحث عنه وموجها فريدا لا تنفصل الحياة عنده عن الفن. لا بل تعلمت كيف تحب الحياة وترقى بثقافتها وتؤمن بالجمال رسالة لها والفن. ورأت في اعماله انتاجات فنية راسخة في مفاهيم التصوير الحديث ومعرفة بقوتها وانسانيتها وعابقة بخصوصية انتمائها تثبت حضورها اينما كانت في العالم دون ان تفقد جغرافية ولادتها. فالاصالة بالنسبة اليه تصدر من الارض ومن حميمية العلاقة بالبيئة وخزينة نضج حياة معاشة ووعي اعمق من ان يحتاج الى استخدامات مباشرة وسطحية بمقولات ايديولوجية او تراثية سرعان ما تكشف عن زيف اصولها وفجاجة ضحالتها. فلفاتح المدرس معرفة عميقة وحريصة بتاريخ التصوير الغربي في الماضي والحاضر وفي فنون الحضارات الشرقية ومعرفة خاصة بالنظريات الجمالية ان لم يكن هو بالذات صاحب نظريات جمالية خاصة قائمة على خصوصية الانتماء لثقافة بعينها لا يمكن ان تفقد جغرافية هويتها. فالفن بالنسبة اليه هو تحقيق الدرجة القصوى من الانسانية ومن الجمال والعدالة والحرية. وهو الخلاص الانساني من البربرية الحديثة وظلمة الشر.

يبدأ الفن عند فاتح المدرس «بمحبة الارض ومن عليها». وميزان الفن كاف عنده لصياغة مجتمع بشري خليق بهذا الاسم وهو تيار حياة ترقى من الوحشية نحو الانسانية. فمادة الحياة من جمال وقسوة ومن رقة وغريزة ومن بهجة ووحشة تعلو قيمة وتتكشف متجلية امام الفنان وتنفذ كلها نحو مملكة الجمال.

فانسانية الانسان هي القيمة العليا في فن فاتح المدرس وهي الوظيفة الاجتماعية والتذوق الجمالي هو المعيار والاساس الذي يقوم عليه الفكر كي لا يفلت في صحراء الافكار التجريدية الجافة او يسقط في بئر الغرائز الحيوانية في ايام تتفجر فيها الغرائز وتخنق الروح. فهو لم يتخذ الفن حرفة او وظيفة اجتماعية او لدواع ايديولوجية عقائدية متعصبة. بل عاشه نشاطا ابداعيا لتعميق معاني الحياة وللصقل الاعمق للحس الجمالي والرقي الانساني وشهادة انسانية ضد الظلم والقسوة وشهادة بالتعاطف والرحمة والحب الذي لا يعرف حدودا.

يحدد فاتح المدرس خصوصية فنه قائلا: «يبدأ الرسم بمحبة الارض ومن عليها» ويقول: «ان اللغة الحضارية كامنة فينا وتصحو من خلال التفاعل الحار مع القيم الانسانية والاحاسيس العميقة كالاخلاص والمحبة والعدالة والوطنية».

ويصف فاتح المدرس فنه بأنه قد كان سوريالية في الماضي ولكنه تشخيصي ينزع نحو التجريد الان ويرتكز على بناء اسلوب سوري غير معهود من قبل ويستلهم التراث الشعبي بمعانيه العميقة، اي انه ينطلق من الارض بالذات. لقد بدأ هذا الاسلوب الذي يدعوه بـ«الطوطمي» عام 1950 وهو قائم على ارتصاف وجوه لها اشكال مربعة صامتة صابرة على الألم لاشكال انسانية تتخذ حضور الطواطم وتتزيّ بأزياء مختلفة تملأ ارجاء اللوحة وتستند على ارضية من تراب وهضاب السهولة الفراتية وضوئها. وتبدو النساء فيها وكأنهن ملكات او امبراطورات او امهات يحتضن اطفالهن او يحملنهن على اكتافهن تحت شمس ساطعة او وسط طبيعة ربيعية عذبة احيانا وقاسية وجافة شرقية احيانا اخرى وكأنهن يهربن بهم من طغيان شرقي عتيد. وتتحول النساء احيانا اخرى الى ربات للخصب في ليال زرقاء داكنة سرية يبتهلن للقمر ويقدمن حليهن الذهبية تقدمة للآلهة الغائب.

يقول فاتح المدرس: «وجه المرأة في لوحاتي اكثره من ريف الجبال السورية في الشمال او في الجنوب او وجوه النازحات اللاتي التقيت بهن على ارصفة محطات السفر لا يعرفن اين يذهبن وماذا بانتظارهن. رأيتهن ينظرن الى افق غير موجود او هكذا خيل اليّ وتذكرت خالاتي في المرتفعات الشمالية ينتظرن احدهم راح ولم يعد ابدا. فهذا الوجه الانساني على بساطة انجازه بخطوط او ظلال تبدو غامضة لا بل وجوه تتهمني وتتهم كل من يراها. وهذا ما ارجوه من الوجه الذي ارسمه. انه وثيقة تدين العصر وانسانه لكن بجمال. فالجمال اقوى حفظا على المأساة واحرص على ديمومة الصورة او خلق صورة مجردة شديدة الارتكاز في الذاكرة»... «انني عندما ارسم وجها ما اربطه باحكام بخلفية اللوحة واضع فيها شيئا يجعله يتكلم لامد طويل او هكذا يخيل اليّ ـ يتكلم بصمت وابتسامة فيها الكثير من التساؤل الذي لا يرتجي جوابا ـ وان هذا عانيته قبل ان اشبهه».

ان شخوص فاتح المدرس ليست شخوصا مرئية بضوء واقع عادي بل تظهر جميعها مستحمة في مناخ من الاسطورة والحكايا والاجواء الطقسية عذابا وانتظارا او احتفالا بشعائر تغوص عميقا في ارجاء الفرات وتلال الشمال ولكنها لم تستكن الى الماضي فهي تصيغ ملامح الحاضر ايضا، ورغم ان موضوعات لوحاته قائمة على اطراف المدينة ومع ذلك فهي لا تتحول الى موضوعات هامشية بل على العكس فان انسانيتها تتحول الى حاجة للعصر وضرورة كاشفة له.

في معظم لوحاته نجدنا وجها لوجه امام شخوص تواجهنا، عوائل بأكملها من الامهات والاطفال تقف لتسجيل صورة لها لا تنظر الى المشاهد ولا تبادله كما في الايقونة ايضا بل تصعد به نحو عالم آخر تنشده اكثر عدالة ورحمة. كما في المنحوتات التدمرية او في الجداريات البيزنطية او في منسوجات الشمال، حيث تظهر رموز القمر والاشجار والحيوانات وكأن الطبيعة بأكملها هي التي تشعر بقدسيتها والطفولة هي النغمة المتبقية وخزينة البراءة التي تعيد للاشياء جدتها.

صاغ فاتح المدرس لغته بمصطلحات الرموز المختلفة والاساطير وبالصور الداخلية الموروثة منذ الطفولة. فأجمل اللوحات هي القادمة عن انطباعات الطفولة حيث تتحول حزمة الاعشاب المزهرة التي يحضنها كطفل صغير الى ام. والأم الى شجرة فسيحة والليل الى مرتع للاسرار والنجوم عقودا وحليا للصبايا. ويقول فاتح عن خصوصية فنه: «انني اعيش احداث الحياة كوحدة متكاملة بدءا من السنة الثانية من طفولتي حين شاهدت آخر مرة وجه أبي الذي بقي مخزونا عندي حتى سن الرابعة عشرة حيث استطعت ان ارسمه. ولما رأته عمتي بكت ومزقت ما رسمت. سألتها عن ذلك اجابت: كي لا تنتقم لأبيك».

لم يكن التصوير والتعبير بالصورة كافيا لفاتح المدرس للتعبير عن مخزون عالمه الداخلي. لم يكن ينفي عنده حاجة التعبير بالكلمة التي هي عنده وسيط ذهني يرقى على الصورة. فالمجردات البصرية بالنسبة اليه محددة عكس المجردات الذهنية وللجمال كما يقول: «بعد حسي يربطه بزمان ومكان معينين، وفي الجمال بعد يتخطى الحس وسيبقى الفن التشكيلي في العالم الولد الضال الذي يعود الى حضن الفلسفة».

«انني الاصوات الداخلية التي تهيم في عالم رحب من الذاكرة، وهذه الاصوات هي أنا وتجد ذلك في عالم رحب من الذاكرة وتجد ذلك في القصص القصيرة التي اكتبها، انها لوحات اوسع من تلك الساحة البيضاء الصغيرة التي احاول الدخول في مجالها عبثا. اشعر بأن الرسم عمل حيواني بينما الكتابة والموسيقى عمل متمم للحيوان ـ الانسان».

ولم يقتصر التعبير عنده بالكلمة على القصص القصيرة بل دخل رحاب الشعر الذي يعتبره اكثر اللحظات حميمية في حياته الخاصة. وعزف الموسيقى في اللحظات التي يشعر فيها بالارهاق امام اللوحة البيضاء وتتحول الموسيقى الى لحظات استجمام يجدد بواسطتها قواه. فهو يعزف كما يقول: «عندما لا ادري ماذا يمكنني ان افعل امام اللوحة البيضاء الفارغة التي ارهبها دائما. الابيض الفارغ العميق الملتصق بوجهي... مع البيانو اعود الى عيدان القش في الحصاد الى المرتفعات الشمالية في كيليكيا عندما كنت طفلا. انه صوت الريح الساعة الثالثة ظهرا او صوت النهر الذي احبه والذي اغرقني. وصوت جدتي عندما كانت تغني وتحجب عينيها عن ضوء شمس الصباح وقد اسندت ظهرها الى جدار من الحجر الاسود. انني اعزف الاصوات الداخلية التي تهيم من عالم رحب من الذاكرة».

رسمت اعمال فاتح المدرس وشخصيته معالم حقبة كاملة في اصعب الشروط ولا زال حضوره يبث الشجاعة والامل وجرأة الاستمرار وستبقى اصالة فنه امثولة لاجيال قادمة علها تكون قادرة على رسم معالم فن تشكيلي يعيد للحياة رونقها وتبشر ببزوغ حقبة تزدهي بالحس الجمالي وتدحض الشر وتشير اليه وستبقى اصالة فنه القائمة على جمال الحرية والعدالة والتراحم الانساني امثولة لنا وللاجيال القادمة.

* فنان تشكيلي من سورية يقيم في المانيا

فاتح المدرس:
ولد في حلب عام 1922
درس الفن في اكاديمية الفنون الجميلة في روما 1954 ـ 1960.
تابع الدراسة في المدرسة العليا للفنون الجميلة في باريس 1969 ـ 1972.
عمل مدرسا في كلية الفنون الجميلة في دمشق حتى عام 1993.
نال العديد من الجوائز والميداليات التقديرية.
له عدة مؤلفات أدبية ـ قصصية وشعرية.
اقام العديد من المعارض في سورية والعواصم العربية في اوروبا وامريكا.
توفي عام 1999.

تداعيات

تساؤلات حول النشر الالكتروني

فادي سعد*

■ المشاكل التي يعاني منها النشر الالكتروني أو بالأحرى التساؤلات التي تحيط بهذا الوسط الجديد متداخلة برأيي من الناحية التقنية والثقافية. بمعنى آخر، الصعوبات التقنية التي يعاني منها هذا النشر تفرض صعوبات من النوع الثقافي وحَذَرٍ مفهوم من مقدار الثبات أو الاستقرار المُفترَض وجودهما في المحتوىً الذي يقدمه هذا النوع الثوري من النشر.

ممّا لا شك فيه أن التقنية الحديثة أحدثت قفزة في مقدار السهولة عند التعامل مع النص والمادة، والمشاكل التقنية في هذا المجال محدودة جداً إلى درجة الانعدام ربّما، إذا توافر الدعم التقني المناسب والمعقول، وهو شيء متُوافر في أفراد عالم اليوم المُرتكز أكثر من أيّ وقتٍ مضى على قدرات التكنولوجيا، جاعلاً هذه القدرات موجودة بيسر وسَهولة.

لكن من ناحية أخرى، طرحَ هذا النشر مشكلة تقنية مهمّة من نوع آخر (لا نعاني منها بشكل مباشر في الوقت الحالي ولكن نشعر ببوادر وجودها) لها تبعيات ثقافية لا تقل أهمية، وهي مشكلة الأرشَفة. فالأرشفة حسب المفهوم القديم المُعتمد على النشر الورقي اعتمد على توافر مساحة فيزيائية للأرشيف الَورقي للمجلات والمطبوعات المتعدّدة، يتم تنضيدها مع مرور الوقت لتبقى متوفرّة للباحث والكاتب والراغب في قراءة أيّ نص مهما قَدُم تاريخ كتابته وصدوره، هذه المرجعيّة مهمة لأي قارئ وباحث، ومهمة أيضاً للكاتب الراغب في الحفاظ على تاريخية نصّه وحمايته من النسيان والزوال.

هل استطاع وهل سيستطيع النشر الالكتروني بما يملكه من تقنية الآن من الحفاظ على أرشيف لنصوصه بشكل يوفّر للثقافة استمراريتها الضرورية، ويوفّر للقارئ والمثقف مرجعيّة لحركة هذه الثقافة عبر الزمن.

هذا الخوف من ميوعة المحتوى وضياعه في متاهات الحفظ الرقمي غير الواضح الملامح، يشكل تحدّيا تقنياً غير معروف النتائج والتبعيات.

فالآليات المُستعملة في الوقت الحاضر لأرشفة المادة في المواقع والمنابر الالكترونية المتعددة غير مُطمئنة على الأقل، وما زالت لا تبعث على ارتياح الكثير من الباحثين والمثقفين الجادّين الراغبين في التعامل مع هذا الوسط الجديد. وليس من المعروف تماماً ـ تقنياً ـ إلى أي مدى زمني ستستطيع تقنية النشر الالكتروني الحفاظ على تاريخها المنشور ما لم يُنشر محتواها طباعياً.

المشكلة الأخرى ـ والمطروحة بكثرة ـ في عالم النشر الرقمي تتمثل في مفهوم حقوق النشر والملكية الفكرية. أصبح هذا المفهوم من أكثر المواضيع غموضاً وإبهاماً في حقبة النشر الالكتروني. فقبل ظهور الإنترنيت، كان من الصعب فصل الملكية الفكرية للنص عن الوسط الذي يحتويه، حيث اتخذ سابقاً كلّ من النص والفكرة شكل قطعة طباعية يُحفظ حقوقُ نشرها من خلال ارتباطها الوثيق مع الوسط الذي يوفّر لها المساحة الإعلامية للظهور، كانت القوانين (المُطبّقة) بهذا الخصوص واضحة نسبياً. لكن الكثير تغيّر منذ ذلك الوقت، حيث تستطيع أي فكرة الآن التعبير عن نفسها في وسائط متعددة ومختلفة في آن واحد، وتبقى الأجوبة على أسئلة من نوع: «من يملك ذلك أو ذاك؟ أو لمن تعود الأسبقية وهل يمكننا التحدّث الآن عن شيء مملوك أصلاً؟» مُثيرة لجدالات ساخنة. لم تعد المعايير بهذا الوضوح السابق.

الأكيد أننا عندما نبحث عن أجوبة لأسئلة كهذه تتعلق بحقوق النشر، يجب أن نأخذ في الاعتبار عالمية النشر الالكتروني والتغييرات العميقة الذي أحدثه هذا النشر في المفاهيم السائدة. وحتى تتوضح الصورة أكثر يجب علينا انتظار الزمن ليقوم بما عليه في صقل وبلورة مفاهيم وقوانين جديدة تتناسب مع متطلبات العصر التكنولوجي الحالي.

* شاعر من سورية يقيم في الولايات المتحدة
f.saad@almouhajer.com

18 فيلما في المهرجان الثاني لافلام دول الاتحاد الاوروبي

■ القاهرة ـ رويترز: ينظم المركز الثقافي اليوناني والمفوضية الاوروبية بالقاهرة المهرجان الثاني لافلام دول الاتحاد الاوروبي مطلع الشهر القادم بدار الاوبرا بالقاهرة ومكتبة الاسكندرية بمشاركة أفلام تمثل 18 دولة من دول الاتحاد. وقال المركز الثقافي اليوناني في بيان ان المهرجان الذي يبدأ في الاول من شباط (فبراير) القادم يضم في برنامجه الرسمي أفلاما من النمسا وبلجيكا وقبرص وجمهورية التشيك والدنمرك وفنلندا وفرنسا وألمانيا واليونان والمجر وايطاليا وهولندا وبولندا والبرتغال وسلوفاكيا واسبانيا والسويد وبريطانيا. وعقدت الدورة الاولى للمهرجان في فبراير شباط 2005 بمشاركة 25 فيلما من 25 دولة هي الاعضاء في الاتحاد الاوروبي ويتم اختيار الافلام بالتعاون بين ادارة المهرجان والجهات المعنية في الدول على أن يكون عرضها في المهرجان هو العرض الاول في مصر.

وقال مدير المهرجان الناقد السينمائي سمير فريد لرويترز ان المهرجان يستمر عشرة أيام ويشمل تنظيم برنامج مواز عن «السينما المستقلة في مصر» واخر بعنوان «100 زائد 10» عن التراث السينمائي في دول الاتحاد الاوروبي بمناسبة «مرور 110 سنة على العرض الاول لسينماتوجراف «مخترع السينما الفرنسي» لوميير في باريس».

وأضاف أن برنامج السينما المستقلة في مصر يعرض به 42 فيلما روائيا قصيرا وطويلا أنتجت بين عامي 1997 و2006 منها «الصباح التالي» لاحمد رشوان و«يوم الاثنين» لتامر السعيد و«قطط بلدي» لتامر البستاني و«الجنيه الخامس» لاحمد خالد و«انت عارف ليه» لسلمى الطرزي و«ايثاكي» لابراهيم بطوط و«الاسانسير» لهديل نظمي. وأشار فريد الى أن برنامج «100 زائد 10» الذي يذكر بتراث السينما في دول الاتحاد الاوروبي يضم 18 فيلما أنتجت بين عامي 1895 و2005 منها أفلام صورها لوميير في مصر عام 1896. وصدر لفريد العام الماضي بالقاهرة كتاب «السينما في دول الاتحاد الاوروبي» وهو عمل موسوعي من أربعة أجزاء هي «أعلام الاخراج السينمائي» و«التاريخ والتيارات والانواع» و«الاسواق والشركات والاستوديوهات» و«المؤسسات السينمائية».

كتاب موسوعي يوثق تاريخ الموسيقار محمد عبد الوهاب

■ القاهرة ـ رويترز: في رحلة مع الغناء امتدت لاكثر من ستين عاما استطاع محمد عبد الوهاب أن يجرب معظم الاشكال الموسيقية في ألحان تلائم الساحات الصوتية لكثير من المطربين العرب سواء من خلال قصائد فصحى أو أزجال عامية اضافة الى ما تغنى به هو نفسه. ويسجل كتاب عن عبد الوهاب صدر بمصر ضمن «موسوعة أعلام الموسيقى العربية» أنه مجد كثيرا من الحكام العرب عبر قصائد لا تقل حرارة عن أغانيه الوطنية في نهاية الاربعينيات ومنها «فلسطين» التي كتبها الشاعر المصري على محمود طه ويقول مطلعها «أخي جاوز الظالمون المدى ـ فحق الجهاد وحق الفدى». وأدى عبد الوهاب الذي حمل لقب «مطرب الملوك والامراء» أغنية «فلسطين» عام 1949 بعد عامين من أغنية كتبها الشاعر المصري صالح جودت ومدح فيها عبد العزيز ال سعود مؤسس المملكة العربية السعودية وملك مصر السابق فاروق معا قائلا.. «يا رفيع التاج من ال سعود ـ يومنا أجمل أيام الوجود. موكب الخير من البيت العتيد ـ جاء يختال على النيل السعيد... أنتما عرشان في ظل الكتاب ـ جمعت قلبيهما روح الاله... أنت والفاروق للشرق منى ـ وعلى كفيكما أحلامنا».

وكانت «يا رفيع التاج» أول أغنية تبثها الاذاعة السعودية بعد أن كانت برامجها تقتصر تقريبا على اذاعة سور قرانية. وصدر الكتاب في مجلدين يضمان 733 صفحة كبيرة القطع عن دار الشروق بالقاهرة ومركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي التابع لمكتبة الاسكندرية ضمن «المشروع القومي للحفاظ على تراث الموسيقى العربية» الذي تديره ياسمين ماهر عبد النور. والكتاب الذي أعدته ايزيس فتح الله حلقة في «موسوعة أعلام الموسيقى العربية» وصدر منها العام الماضي ثلاثة كتب عن أم كلثوم وسيد درويش وسلامة حجازي. ويسجل الكتاب أن عبد الوهاب الذي اعتزل الغناء في الحفلات العامة تقريبا منذ عام 1933 ظل يغني لبعض الحكام العرب حيث لحن وغنى نشيد «عرش وشعب» تحية لملك المغرب الراحل الحسن الثاني. كما لحن وغنى في السبعينيات أغنية «أجمل عروسين» التي كتبها شاعر العامية المصرية حسين السيد وسجلها عبد الوهاب «باستوديو 46 بالاذاعة بمصاحبة الفرقة الماسية بمناسبة زفاف احدى بنات الامراء العرب.. خالد وليا».

وغنى عبد الوهاب عام 1962 نشيد «بلدي أنت» من تأليف الشاعر المصري كامل الشناوي «اهداء لاذاعة الكويت... لحن أناشيد لكل من المغرب وليبيا والامارات وعمان والاردن والسعودية والعراق ولبنان».

وتوفي عبد الوهاب عام 1991 عن أكثر من تسعين عاما حيث لم يتثبت باحث من التاريخ الحقيقي لميلاده وان رجح كثيرون أنه يدور حول عام 1900.

وكان عقد الخمسينيات الاكثر غزارة في أعماله العاطفية والحماسية أيضا ومنها أغان أداها أو لحنها لغيره من المطربين يدور معظمها حول الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر مثل «يا جمال النور والحرية» و«ناصر كلنا بنحبك» و«شعب وجيش» و«بطل الثورة احنا معاك» و«عاش الجيش المصري» و«الوطن الاكبر».

وواكبت أعمال عبد الوهاب نبض الحالة العربية. فبعد حرب 1967 التي هزمت فيها الجيوش العربية واحتلت اسرائيل أراضي عربية في فلسطين والاردن وسوريا اضافة الى شبه جزيرة سيناء المصرية لحن أعمالا منها قصيدة «طريق واحد» التي غنتها أم كلثوم من تأليف الشاعر السوري نزار قباني ويقول مطلعها «أصبح عندي الان بندقية».

ويؤرخ الكتاب لكل ما يخص عبد الوهاب حتى يظن القارىء أنه كان أشبه بمدفعية موسيقية جاهزة للانطلاق نحو أي هدف باتساع الموهبة والمساحة الصوتية بين فيروز وأم كلثوم من ناحية وصولا الى فناني الاداء الشعبي الفردي «المونولوج» مثل محمود شكوكو واسماعيل ياسين وسعاد مكاوي من ناحية أخرى.

وأشار الى بروز عبد الوهاب منذ عام 1926 حين أسندت اليه منيرة المهدية أشهر مطربات تلك المرحلة استكمال تلحين مسرحية «كليوباترا ومارك أنطونيو» التي مات سيد درويش قبل انهاء تلحين أغانيها. وفي تلك الفترة تبناه أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كان أبا روحيا له وخصص له في بيته غرفة أطلق عليها «عش البلبل». وسجل الكتاب أن عبد الوهاب أدى بصوته نحو 42 بالمئة من الاغاني التي لحنها في حين كان عبد الحليم حافظ صاحب النصيب الاكبر من تلك الالحان متقدما على نجاة الصغيرة وليلى مراد. أما فيروز فكان لها نصيب أصغر اذ غنت من ألحانه «سكن الليل» من تأليف جبران خليل جبران و«الى زحلة» المشهورة باسم «يا جارة الوادي» التي غناها عبد الوهاب نفسه عام 1928 من تأليف أحمد شوقي كما غنتها أيضا اللبنانية نور الهدى «1924 ـ 1998».

ولحن عبد الوهاب 79 قصيدة لشعراء عرب منهم اللبناني جورج جرداق مؤلف «هذه ليلتي» والسوداني الهادي ادم مؤلف «أغدا ألقاك» وغنت القصيدتين أم كلثوم. كما لحن 95 أغنية خفيفة ذات طابع شعبي لمؤدين اشتهروا بفن المونولوج منهم اسماعيل ياسين وسعاد مكاوي في «البوسطجية اشتكوا» و«سلامات» وفؤاد المهندس في أكثر من مونولوج منها «أنا واد خطير» ومحمد عبد المطلب ونعيمة عاكف في «اعمل معروف يا ابو عود ملفوف» وشكوكو في «يا جارحة القلب بقزازة». ويشير الكتاب الى شعراء غير معروفين الان لكن كلا منهم حظي بأغنية أداها عبد الوهاب ومن هؤلاء عبد المحسن بن عبد العزيز مؤلف «لئن طال عمري» وسعد ال سعود مؤلف «أغار من قلبي» وحسين أحمد شوقي «سهرت منه الليالي» التي غناها عبد الوهاب عام 1935 في فيلم «دموع الحب».

وقال فتحي صالح مدير المركز القومي لتوثيق التراث الحضاري والطبيعي في مقدمة الكتاب ان هذا المشروع يهدف الى «انشاء قاعدة بيانات للموسيقى العربية يتم فيها حصر أسس وعناصر جماليات هذا الفن العظيم ثم المساعدة في نشر التراث الموسيقى العربي».

ويعنى المركز القومي بتوثيق ونشر التراث العربي بأكثر من لغة في صورة اصدارات ورقية والكترونية ومنها «اسهامات العرب في الفلك.. الاجهزة والمعدات» و«اسهامات الحضارة العربية والاسلامية في العلوم الطبية» و«مصر 1920» و«كنوز الملك توت عنخ امون».

محمد عبد الوهاب (القدس العربي)